

لا يمكن لاي مراقب عربي ، ولا يجوز له ، أن ينظر الى استقبال البابا بولس السادس لوزير خارجية اسرائيل من زاوية انها وليدة الصدفة او انها تاتي فقط ضمن المساعي القائمة لحل أزمة الشرق الاوسط. فالمنظار الذي يجب ان ينظر فيه الى هذه الزيارة الخطيرة هو المنظار التاريخي لقضية فلسطين وموقف الفاتيكان منها .

وقد كانت اسرائيل ، بالفعل ، ومنذ اللحظة الاولى لقيامها متضايقة من عدم اعتراف الفاتيكان بها ، لان ذلك بحد ذاته يشكل موقفا للعالم المسيحي لا يمكن لاسرائيل أن ترتاح اليه وأن كانت تضمن حكومات العالم المسيحي ، أو على الاصح معظمها ، الى جانبها .

فالجهود الكبيرة التي بذلها الصهاينة بمعاونة الولايات المتحدة لاستدراج الفاتيكان الى مواقف لمصلحة وجود اسرائيل، ليست جديدة ، وإن كانت لم تبدأ باعطاء ثمارها الا في الوقت الحاضر . والمتتبع لخطى الرحلة الاسرائيلية الى الفاتيكان يستطيع تلمس محطات اساسية في هذه الرحلة تدل كلها على تخطيط تاريخي عميق الجذور وبعيد المدى .

والذين يذكرون تلك الحملة الطنانة التي شنتها اجهزة الاعلام الصهيوني في الغرب والتي تحولت الى مسرحيات قدمت على أشهر المسارح ، ضد البابا بيوس تتهمه بالسكوت على المجازر التي ارتكبها الهتلريون ضد اليهود في المانيا ابان الحرب العالمية ، لا بل وتتهم الكنيسة الكاثوليكية بالتواطؤ مع النازيين ، يدركون ، بلا ريب ، أن هذه الحملة لم تفتح للتشهير بالبابا الراحل بعد وفاته ، وانما استهدفت الضغط على خلفائه لحملهم على اعطاء تنازلات لمصلحة العدوان الصهيوني في فلسطين .

وقد بدات هذه الحملة تعطي ثمارها على مراحل متناسقة ، وسط رغبة الفاتيكان ومحاولاته الحثيثة لاغلاق باب التشهير بالكنيسة الغربية .

وقبل أن تصل الرحلة الاسرائيلية الى الفاتيكان الى حد زيارة ابا ايبان للبابا بولس ، لا بد من تتبع خطوات الفاتيكان نحو اسرائيل بعد حملة التشهير المذكورة .

اولا ، تلك المحاولة الغامضة التي جرت في المجامع المسكونية الاخيرة وعرفت بوثيقة « تبرئة اليهود من دم المسيح » والتي ليس هناك اي تفسير لها في هذا الظرف سوى خلق جو ملائم للاعتراف باسرائيل وبشرعية عدوانها .

ثانيا ، تلك المحاولة « لغربنة » الكنائس الشرقية باسباغ الالقاب الغربية على بطاركتها والتي ليس لها اي تفسير في هذا الظرف سوى « تحييد » المسيحيين العرب بشكل خاص والمسيحية بشكل عام بالنسبة للصراع في المنطقة باظهاره على انه صراع بين اديان وليس صراعا بين القومية العربية والعدوان الصهيوني ــ الامبريالي الذي يشارك فيه العالم المسيحي في الغرب مشاركة اساسية .

ثالثا ، تلك الزيارة المفاجئة التي قام بها البابا بولس للقدس قبل سنوات قلائل ، والتي وصفت بانها زيارة تاريخية لانه لم يحدث أن قام غيره من الباباوات بمثلها ، تلك الزيارة التي تعدت زيارة الاماكن المقدسة التي كانت يوما عربية الى زيارة لاسرائيل عبر بوابات القدس وقيل يومها انها تمت لزيارة الناصرة موطن السيد المسيح . لقد كانت هذه الزيارة الخطوة الاهم على طريق رحلة اعتراف الفاتيكان باسرائيل لان قداسته دخل فعلا الى الارض التي اغتصبتها اسرائيل دون ان يندد بالعدوان او يشير اليه ، الامر الذي لا يمكن تفسيره في هذا الظرف سوى انه على اقل تقدير وضع الضحية والمعتدي على قدم المساواة ، وهو اسوا الظلم .

رابعا ، تلك الصرخة المدوية التي اطلقها قداسته ضد اعدام جواسيس اميركا واسرائيل في العراق في الوقت الذي لم يسمع له صوت فيما يتعلق بحرق المسجد الاقصى في القدس التي زارها وتبرك بها ، سوى تمتمات خافتة حول السلام في الشرق الاوسط .

وليس القصد من تتبع خطوات الرحلة الاسرائيلية الى الفاتيكان مجرد تسجيل تاريخي للحوادث والمواقف ، بل التبحر من خلالها الى مستقبل المصير العربي وما يعد له في السر وفي العلن ، والى مستقبل لبنان الذي يشكل جزءا اساسيا من الامة العربية .

لقد حرصت الدوائر الرسمية اللبنانية على التاكيد بانها لم تتاثر بالتحفظات العربية على زيارة ايبان للفاتيكان ، لا بل انها ، على حد قول الصحف العليمة، اعربت عن اعتقادها بان الوضع الخاص الذي يتمتع به لبنان لا بد ان يطرح على بساط البحث بين وزير خارجية اسرائيل والبابا بولس ، وخصوصا ان الفاتيكان لم يترك مناسبة الا واظهر فيها عطفا خاصا على « قضية لبنان » في النزاع العربي الاسرائيلي !!

ان هذا الموقف الرسمي أقل ما يقال فيه انه موقف غير وطني لانه مغاير لما تحتمه مصلحة لبنان المشارك في المصير العربي . فلبنان الوطني ما كان ليستند الى الفاتيكان ليرد عنه كيد اسرائيل ، وهو امر قدرة الفاتيكان عليه غير مؤكدة الى الان ، بل كان يلقي بثقله في الفاتيكان ليمنع التقارب مع اسرائيل ويحمل البابا على شجب العدوان والاحتلال ، ورفض شرعية الوجود الاسرائيلي في فلسطين رفضا شاملا ومطلقا .

ان الفارق بين الموقفين هو نفس الفارق بين ارادة المقاومة وارادة الاستسلام ... وهنا بيت القصيد

« الاحرار »